

الواجب على (المسلم) نحو.. اليوم الآخر:

إذا علمت أخي المؤمن أن الموت لا بد آتيك، وأن الساعة لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.. فماذا يجب عليك أن تعمل؟..

هو أمر واحد - ماله ثان^(١) - : أن تستغل وجودك في هذه الحياة وتدخر في مستودعك الذي ستفتحه يوم القيامة (أعمالك الصالحة)، إذ الحياة هي المزرعة التي تبذر بروضها لتجد زوادتك في ذلك اليوم العظيم يوم الحساب والجزاء - لا يوم العمل!

إذا أنت لم تزرع، وألفت حاصداً ندمت على التفريط في زمن البذر -
/..

غداً توفى النفوس ما عملت ويحصد الزارعون ما زرعوا -

وإلى هذا يدلنا ويحثنا على الجد والعمل قبل فوات الأوان، قوله ﷺ:

{ اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل مماتك }^(٢).

(١) .. هناك في علم الفلسفة ما يسمى : (السؤال المفتوح) الذي له أو يحتمل عدة أجوبة، والسؤال المغلق ، أرى: الذي ليس له إلا جواب واحد معلوم مدرك .. بالبدئية*، وكما في قوله تعالى نهاية سورة القيامة: ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ ؟ فلن تحيد الفطرة السلمية عن قول (بلى) وكذا في قوله تعالى - تقريراً - : ﴿ وَلَقَدْ سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾.

*- البدئية: التي لا يختلف عليها إثنان-

(٢) ذكره الحاكم في المستدرک ٣٤١/٤.

وروى السترمذی (٥٥٢) - قوله عليه الصلاة والسلام: { بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا فقراً مسياً، أو غنى مطغياً ، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر } . - وإن ضعفه أهل العلم، ولكن نوره استثناساً-

جاء في (خزانة الأدب) ٢/١٢١ - من الوعظ - :

روى السيد علم الهدى المرتضى في (أماليه) أن مسلماً الخزاعي قال شهدت رسول الله ﷺ وقد أنشد مُنشدُ قول سويد بن عامر المصطلقى:

لا تأمنن.. وأن أمسيت في حرم .. إن المنايا بكفّ كل إنسان^(١)
واسلك طريقك مشي غير مُختشعٍ حتى يبي ما لك الباني
فكل ذي صاحب يوماً مُفارقة^(٢) وكل زاد.. وإن أبقىته فاني
والخير والشر مقرونان في قرن بكل ذلك يأتيك الجديدان^(٣)
فقال رسول الله ﷺ: {لو أدركته لأسلم}.

.. ومرّ أمير المؤمنين: علي رضي الله عنه على (المقابر) .. فقال - بعد السلام والدعاء..-:

(يا أهل المقابر: أما الأموال فقد قُسمت، وأما الدور فقد سُكنت،
وأما الأزواج فقد تزوجن، فذا خبر ما عندنا..، فما خبر ما عندكم؟
ثم التفت إلى من معه وقال: والله لو نطقوا^(٤) لقالوا: (إن خير الزاد
التقوى).

.. وقال (ابن جبیر):

تراه يشفق من تضييع درهمه وليس يشفق من دين يُضيّعه

(١) والعمر زمن يمر سريعاً . يراه الإنسان لا نهاية له، ويلهه الأمل عن الآخرة ولذلك قال الخليفة المعتصم عند موته:
لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت.

(٢) أنظر قول جبريل عليه السلام ص/١٠٧

(٣) الجديدان: الليل والنهار

(٤) ..وانظر ما يأتي ص ١٦٤.

وبعد أن ألقى قتلى (بدر) من المشركين، في قلب، وقف على القلب رسول الله ﷺ، ثم قال: {يا فلان يا فلان إني وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربي حقاً؟! فقليل له: يا رسول الله: كيف تكلم جيفاً؟ فقال لهم: ما أنتم بأسمع منهم} - الحديث -

وقد شيعَ عمر بن عبد العزيز جنازة فلما انصرفوا تأخر عمر وأصحابه ناحية عن الجنازة، فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين جنازة أنت وليها تأخرت عنها وتركتها؟ فقال: (نعم، ناداني القبر^(١) من خلفي: يا عمر بن عبد العزيز ألا تسألني ما صنعت بالأحبة؟ قلت: بلى، قال: خرقت الأكفان، ومزقت الابدان، ومصصت الدم،.. الخ) حلية الأولياء ١٦١/٥.

وهاك.. خطاب أبي العتاهية.. لها - أو/ لأهلها:

أيت القبور فساءلتها	أين المعظم والمختر
وأين المذلّ بسلطانه	وأين القوي على ما قدر
..تفانوا جميعاً فما مخبر	وماتوا جميعاً ومات الخبر
فيا سائلي عن أناس مضوا	أمالك فيما مضى معتبر!

- .. نقول: بلى، بإذن ربنا-

وقال الشاعر عبد الرحيم اليرعي اليميني -.. من قصيدة يمدح بها

الرسول ﷺ:-

(١) .. أنظر ما يأتي ص ١٦٨ وما بعدها.

أروح وأغدو شارباً كأس غفلة
وأمسي وأضحى حاملاً في بطاقتي
إذا قلت للنفس استعدي بتوبة
وإن قلت للقلب اسقم بي تعرضت
فكم أتزيّاً بالعبادة والتقوى
أريد مقام الصالحين وليس لي
وإن حضر الإخوان للذكر والبكا
فواخجلتي شيباً وعيباً.. وقد دنا

بماء الأمانى الكواذب ثمزج
ذنوباً تكاد الأرض منهن تخرج
أبت وشقي الحظ لا يتحجج
له شهوات نارها تتأجج
رياءً،.. وباب الرشد عني مُرتج
كمنهجهم في الدين دين ومنهج
حضرت كأنى لاعب متفرج
رحيلي، ولا أدري علام أعرج

تذكّر دائماً

واجب الإنسان المسلم نحو (اليوم الآخر): المبادأة والمبادرة إلى
الأعمال الصالحة قبل فوات الأوان.

الخوف.. والرجاء :

بدءاً.. هما جناحا المؤمن الموقن بالله، الخائف منه.. كي: ﴿ تَحَذَّرُ الْآخِرَةَ
وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [الزمر/٩] فلا يغلب جناح الخوف.. فيهوي لدركات
اليأس والقنوط..!

أو يعلي جناح الرجاء.. فيسكن إلى الأمل والأمني التي قد تبلغ المرء قيعه
(السراب) .. فيجد العمر انطوى على غير طائل، وليس عن الموت حائل..
ولا ساعة مندم!

ف / الخوف:

بدءاً.. لا شك أن الحديث عن يوم القيامة - وأهواله^(١) - حديث
مروّع ينزع القلوب من الصدور، ويطيش بالألباب.

قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ
شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ
كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ
عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ١-٢].

و.. كما يصفه سبحانه: ﴿ يَوْمَ يَقْرَأُ الرَّءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ
﴿ وَصَلِحَبَّتِهِ وَبَنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦].

(١) أنظر خلف الصفحة.

ويقول تعالى أيضاً: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هود: ١٠٢ - ١٠٧].

ويقول أيضاً: ﴿ هُمْ مِّن فَوْقِهِمْ ظِلٌّ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظِلٌّ ۚ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يُعْبَادُ فَاتَّقُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الزمر: ١٦].

ويقول أيضاً: ﴿ فَأَنْذَرْتُمْ نَارًا تَلْظِي ۚ ﴿١١٤﴾ ﴾ [الليل: ١٤].

ويقول النبي ﷺ: {أُطَّتْ^(١) السماء وحق لها أن تظط ما فيها موضع أربع أصابع.. إلا وعليه ملك ساجد، لو تعلمون ما أعلم.. لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصُّعَدَاتِ^(٢) تجأرون^(٣) إلى الله تعالى} ^(٤).

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴾ [البقرة: ٤٠].

(١) الأظيط: هو أنين الإبل تبعاً من أنفها - وأظيط السماء كناية عن كثرة الملائكة فيها، وإن لم يوجد الأظيط حقيقة -

(٢) الطرقات .

(٣) تستغيثون .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٧٣/٥ .

ويقول جل جلاله أيضاً: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج: ١٢] لكن يغالب (جهم) ذلك..

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لما قرأ قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ [الزلزلة/ آية ٤]: {أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها} (١).

يقول ﷺ: {لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به} (٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {كيف أنعم؟ وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ}. فكان ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ، فقال لهم: {قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا} (٣).

وأعظم مثال عن الصحابي الجليل عمر رضي الله عنه.. هذا الإنسان العظيم (٤) في إيمانه وجلده قد نسب له.. قوله:

وما بيّ خوف الموت.. إني لميت ولكن خوف الذنب يتبعه الذنب

(١) الحديث رواه الإمام أحمد ٣٧٤/٢، والترمذي ٦١٩/٤.

(٢) أخرجه الترمذي ٦١٢/٤.

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد ٣٢٦/١، والترمذي ٦٢٠/٤.

(٤) حتى في أدبه مع ربه!.. القائل..

" لو نادى مناد من السماء: أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلا رجلاً واحداً خشيت أن أكون أنا"-

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظنا ويعصمنا من النار

أنه غفور رحيم، .. قال طاهر زنجشيري - رحمه الله -:

سَبِّحِي^(١) لِلَّهِ يَا نَفْسِ.. وصلِّي واشكُريه

..وإذا عاثت بكِ "البلوى" وهاجت فاذكُريه

إنه الشيطان يغويك لتشقي.. فاحذريه

فإذا غالكِ إثمٌ جامعٌ فاستغفريه

وردد دائماً هذا الدعاء- وقد صحَّ عنه عليه السلام: {اللهم إني ظلمت نفسي

ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني
إنك أنت الغفور الرحيم}.

وأيضاً:

{اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما

أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت}.

ثم.. وألفت انتباه القارئ الكريم إلى مسألة هامة، وهي/

أن الخوف الذي تقدم الحديث عنه: يجب أن لا يتمكن من قلب

الإنسان المؤمن إلى أن يبلغ به حالة اليأس والقنوط من رحمة ربه عز وجل، بل

ينبغي عليه أن يجعل منه واقياً لنفسه الأمانة بالسوء، ودافعاً.. لأن تكف -

بعون الله- عن غيرها وتعود إلى بارئها عز وجل، ف/ الخوف والرجاء^(٢)

- هما- كجناحي طائر، فإن طغى أحدهما على الآخر.. سقط هذا الطائر -

(١) من.. سَبِّحِ أَي نَزَّهَ عَن كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ.

(٢) أَي (يَرْجُو رَحْمَتَ رَبِّهِ، وَيَحْذَرُ الْآخِرَةَ).

قيل: من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً:
من عرف ربه فأطاعه وعرف شيطانه فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف
الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها.

- ست بليت بها والمستعاذ به من شرّها، من إليه الخلق يبتهل
نفسى وإبليس والدنيا التي فتنت من قبلنا، والهوى والحرص والأمل
إن لم تكن منك يا مولاي واقية من شرها، فقد أعيت عبدك الحيل-

الرجاء :

الذي .. له بشارت ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ۗ

جَنَّاتٍ ۖ ﴾ ﴿ ١٦ ﴾ ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ [الرحمن: ٤٦].

ويقول أيضاً: ﴿ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ ﴾ ﴿ ١٥ ﴾ ﴿ قَالُوا إِنَّا

كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۖ ﴾ ﴿ ١٦ ﴾ ﴿ فَمَنْ أَلَّهٖ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَدَابَ

السُّمُورِ ۖ ﴾ ﴿ ١٧ ﴾ ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ ۗ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ۖ ﴾ ﴿ ١٨ ﴾ ﴿

[الطور: ٢٥-٢٨].

كما قال سبحانه - في البشارت-: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ

عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۖ ﴾ ﴿ ١٣ ﴾ ﴿ [مریم: ٦٣].

.. ومنها :

يقول الله عز وجل ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا

تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ

الرَّحِيمُ ۖ ﴾ ﴿ ٥٣ ﴾ [الزمر: الآية ٥٣].

..ويقول أيضاً: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُهُمِهِمْ وَإِنَّ

رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ ﴾ ﴿ ٦ ﴾ [الرعد: من الآية ٦].

ويقول أيضاً: ﴿ وَالْمَلٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ

لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۖ ﴾ ﴿ ٥ ﴾ [الشورى: من الآية ٥].

ويقول أيضاً: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: من الآية

[١٥٦].

ويقول أيضاً: ﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ

الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].

ويقول أيضاً: ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا

يُرَدُّ بِأَسْهُرٍ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٧].

ويقول أيضاً: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ

لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: من الآية ٤٨].

- من ذا الذي ما ساء قط .. ومن له الحسنى فقط -

ويقول النبي ﷺ .. يقول الله تعالى: { من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها

وأزيد، ومن جاء بالسيئة.. فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني

شيراً.. تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً.. تقربت منه باعاً، ومن

أتاني يمشي.. أتيته هرولة.. ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي

شيئاً.. لقيته بمثلها مغفرة }^(١)

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم رسول الله ﷺ بسبي،

فإذا امرأة من السبي تسعى.. إذ وجدت صبياً في السبي، فأخذته فألزقته ببطنها

(١) رواه مسلم ٤/٢٦٨ .

فأرضعته، فقال رسول الله ﷺ: {أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا والله. فقال: لله أرحم بعباده من هذه بولدها} (١).

وعن جابر رضي الله عنه: جاء إعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله.. ما الموجبتان؟ فقال: {من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة} (٢) ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار} (٣) -

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: فيما يحكي عن ربه سبحانه وتعالى: {أذنب عبدي ذنباً فقال: أي رب، أغفر لي ذنبي، فعلم أن له رباً يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب، أغفر لي ذنبي فقال: تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب أغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، وقد غفرت لعبدي، فليفعل ما يشاء} (٤).

- وذاك.. أي/ بفضل من رحمته ﴿ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ و ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ و ﴿ وَسِعَتْ ﴾ (٥) كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴿ ﴾ [غافر/ آية ٧].
وجاء في الأثر {إن لله نفحات فتعرضوا لنفحاته}، وصح أيضاً: {إن لله في أيام الدهر نفحات فتعرضوا لها، فلعل أحدكم أن تُصييه نفحة فلا يشقى بعدها أبداً}.

(١) الحديث رواه البخاري ٢٢٣٦/٥، ومسلم ٢١٠٩/٤.

(٢) وهي بشرى عظيمة - لكل موحد مات عليها-

(٣) الحديث أخرجه مسلم ٩٤/١.

(٤) الحديث أخرجه مسلم ٢١١٢/٤.

(٥) أي: (إن رحمته عامة شاملة، لجميع الخلق).

ومن هذا التعرّض/ ما جاء في الحديث { قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت وهو على كل شيء قدير مئة مرة، كتبت له ألف ألف حسنة }.

بل/ ماذا يجهد المرء أن يقول (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) مئة مرة.. لتُحطّ عنه خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر - كما في الحديث -
و- مثلاً:- (رمضان) شهر "النفحات" .. والبركات:، فلماذا لا نقوم رمضان؟! ولماذا لا نجرب لذة القرآن؟! ولذة المناجاة والدعاء؟! ولماذا لا نجرب وقت الأسحار وهجيع الليل؟ ولماذا لا ننطرح بين يدي مولانا قربنا يتزل في ثلث الليل الأخير نزولاً يليق بجلاله وعظمته يعرض نفحاته ورحماته، فلماذا لا نتعرض لرحمات الله؟

قُم في الدجى واتلُ الكتاب ولا تنم
فلربما تأتي المنية بغتةً
يا حبذا عينان في غسق الدجى
فالله يتزل كل آخر ليلة
فيقول: هل من سائل فأجيبه)
إلا كنومة حائر وهان
فُتساق من فرس إلى أكفان
من خشية الرحمن باكيتان
لسمائه الدنيا بلا نكران
فأنا القريب أجيب من ناداني

(لو وصف الله نفسه بالعدل فقط لهلكنا، ولكنه ألزم نفسه بالرحمة، فضلاً منه وكرماً ﴿ كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِيهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام/ آية ٦]. فالله هو مصدر الرحمة والحب، وهناك فيض من الآيات والأحاديث^(١)، تمنح التوازن والانتعاش للروح في أحاديث من نموذج "الذي قتل ٩٩ نفساً" فهو يعطي الأمل لمجرم من هذا الحجم، ولكن ثقافتنا التي تعاني من مرض فقدان التوازن

(١) .. تقدم -.. في الصفحة السابقة -: بعض من نماذجها.

حولت الإنسان إلى كتلة خوف يوم وُلد ويوم يموت، بفعل ثقافة القسوة المغلفة للحياة).

كيف.. وقد روى الترمذي حديث:

{ خلق الله مئة رحمة، فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها، وعند الله تسعة وتسعون } صدق (الرحمة المجتباة) حبينا صلى الله عليه وسلم.

وأحسن ابتهاًلاً ذلك الشاعر بقوله :

يا من له عنت الوجوه بأسرها وله جميع الكائنات وحد
يا منتهى سؤلي وغاية مطلبي من لي إذا أنا عن جنابك أطرّد
أنت المؤمل في الشدائد كلها يا سيدي، ولك البقاء السرمد^(١)

- و. كما أحسن غيره استعطافاً .. ب - :

إن الملوك إذ شابت عبيدهم عتقوهم يارب عتق أبرار
وأنت يارب أولى بذا كرماً قد شبت في رقك فعتني من النار-

ثم/ إن ربك غني عنك.. يقابل القليل منك بالكثير منه، وخذ هذه

البشرى في جامع الأحاديث للسيوطي:-

قال النبي ﷺ: { ابشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هذا القرآن سبب^(٢)، طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً }.

(١) السرمد/ الذي ليس له نهاية- فهو.. سبحانه (الأول ليس قبله شيء، والآخر ليس بعد شيء)، كما في الدعاء المأثور.

(١) أنظر.. ما تقدم ص/٣٩.

ومع.. ما تقدم من الآيات والأحاديث عن الرجاء، وكما قلنا عن (الخوف)- ص ٦١-.. فلا ينبغي للإنسان المسلم أن يسترسل معها - بالرجاء- حتى تبلغ به درجة التماذي أو الاستخفاف بأوامر الله ونواهيه^(١)، بل عليه أن يكون كما أراده الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿تَحَذَّرِ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر/ ٩].

-ولدتك أمك يا ابن آدم باكياً والقوم حولك يضحكون سروراً^(٣)
فاعمل ليوم أن تكون إذا بكوا في يوم موتك.. ضاحكاً مسروراً-

كان النبي ﷺ في جنازة، فأخذ شيئاً فجعل ينكت به الأرض، فقال :
{ ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنة } فقالوا
يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل، قال : { اعملوا فكل ميسر
لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فيسر لعمل أهل السعادة، وأما من
كان من أهل الشقاء فيسر لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ
أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ

(٢) .. حتى قيل في أبي نواس، وأبي العتاهية:

كلاهما مخطي: ذاك لإفراطه في أباطيلها، وهذا لإفراطه في التذهيل بها.

لكن للأسف أن جملة من الناس اليوم بين حالين، إما الإفراط في ذلك فيكون شغله الشاغل... حتى يركن..انتظارا له .. أو السهوي عنه/ حتى.. لا يدري بحاله إلا وهو في جدته - بين الصفائح والصخور- .. انظر ما يأتي هامش (٢) ص/١١٠-

وللحرجاني كلمة في مثل هذا (ومن لم يفرق بين الحالين، وقفت به الملامة بين تفریط المقصر، وإسراف المفرط. وقد جعل الله لكل شيء قدرا).

(٣) التذكرة - للقرطبي- ١٠٢.

مَحَلٍّ وَاسْتَعْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِّيْرُهُدٍ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ ﴿
[الليل ٥-١٠].

وهذا ما فصلته الآيات : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ
شَقُوا فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ ﴿١٦﴾ خَلْدِيْنَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٧﴾ *
وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلْدِيْنَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ
إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٨﴾ ﴿ [هود].

وهنا حال المؤمن بين الرجاء - الوعد - ، والخوف - الوعيد - /
... مع كل عمل صالح، تأتي البشرية، ومع كل عمل سيء يأتي التحذير،
كما قال تعالى : ﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١١﴾ ﴿ [الليل/ آية ١٤] يبين ربنا.. عما
عمل أهلها ﴿ لَا يَصْلَنَهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ﴿ [الليل/ آية ١٥].

وكان رسولنا ﷺ شديد الإنذار، والتحذير منها، وقف ﷺ على منبره فجعل ينادي ويقول: {أنذرتكم النار} (١) ثلاثاً، وعلا صوته حتى سمعة أهل السوق جميعاً، وحتى وقعت خميصة كانت على كتفه عند رجليه.. من شدة تأثره وانفعاله بما يقول عليه الصلاة والسلام.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: إن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن! يقول: {قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة الحيا والممات} رواه مسلم.

وصحح الألباني - رحمه الله - : { اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة الحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم } (٢).

(١) وصح عنه ﷺ الدعاء - بعد صلاتي الفجر والمغرب -: اللهم أجرني من النار - سبعاً.. وأيضاً: (اللهم إني أسألك الجنة وأستعيذ بك من النار) - ثلاثاً - .. ولهذا.. جاء في الحديث (اتقوا النار ولو بشق تمرة).

.. وكتب الداعية (فايز العتيبي) عنها وعن أهلها: ((غطائهم من نار)، وطمعهم من نار وشرابهم من نار ولباسهم من نار ومهادهم من نار، تغلي بهم كغلي القدر وهم يهتفون بالويل ويدعون بالثبور. يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصره به ما في بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد ﴿كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ يتفجر الصديد من أفواههم، وتقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الحدود عيونهم وأهدابهم " كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب " أمانتهم فيها الملاك وما لهم من أسرها فكك، كيف بك إذ رأيتهم وقد أسودت وجوههم فهي أشد سواداً من الحمم، وعميت أبصارهم، وأبكت ألسنتهم، وقصمت ظهورهم، ومزقت جلودهم، وغلت أيديهم إلى أعناقهم، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم، يمشون على النار بوجوههم، ويطنون حسك الحديد بأحداقهم.. ينادون من أكنافها ويصيحون من أقطارها: يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد حق علينا الوعيد. يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك قد تفتت منا الكيود، يا مالك العدم خير من هذا الوجود. فيجيهم بعد ألف سنة بأشد وأقسى خطاب وأغلظ جواب: " إنكم ماكنون...)).

(٢) كتاب (المختار من صحيح الأذكار).

و.. كان عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - يقول : أكثرُوا ذكر النار فإن حرها شديد وقعرها بعيد، ومقامها حديد.
وصدق الله العظيم: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا ^(١) تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ^ط ﴾ [البقرة/٢٨١] - كما في تحذيره: ﴿ وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ^ط وَإِلَى اللَّهِ ^ط الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران/٢٨] -

تذكّر دائماً

الإنسان (المؤمن) يطير إلى الآخرة بجناحي : الخوف والرجاء

(١) ولما حضرت الوفاة (الفضيل بن عياض) رحمه الله ، غشي عليه، ثم أفاق وقال: (يا بعد سفري وقلة زادي) (العاقبة/١٣٣).